جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا
المجـــلة العلميـــة

التوافق بين الإمام ابن القَيِّم ومحققي المالكية في مسائل الإيمان باليوم الآخر

إعداد

الباحث / حسين بن يوسف اليحياوي

باحث دكتوراه
بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز ــ المملكة العربية السعودية

(العدد الثاني والعشرون إصدار يونيو ٢٠٢٥م)

التوافق بين الإمام ابن القَيِّم ومحققي المالكية في مسائل الإيمان باليوم الآخر

حسين بن يوسف اليحياوي
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: Yhlra2009@gmail.com

ملخص البحث:
يتناول هذا البحث الحديث عن الإمام ابن القيم – رحمه الله– الذي يُعَدُّ من أبرز العلماء الذين تحدثوا عن مسائل اليوم الآخر، وتُعد كتبه ومؤلفاته مرجعًا مهمًا في هذا الباب، والتوافق بينه وبين محققي المالكية في تلك المسائل. فقد تحدث ابن القيم عن القيامة الصغرى وهي: الموت، كما ذكر أن ما بعد الموت إلى دخول الناس الجنة أو النار هو القيامة الكبرى. وسرد – رحمه الله– الكثير من الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من كتاب الله وسنة رسولهﷺ. وتحدث أيضًا عن البعث والأدلة التي وردت فيه، وكذلك الصراط، حيث عَرَّفَهُ وذكر أدلته، وبَيَّنَ مكانه، ومن الذي يجوزه، ومن الذي يدخل النار قبله، ومن الذي تزل به القدم. كما تحدث عن مسألة الحوض، وأن الأحاديث التي تناولت الحوض بلغت حد التواتر. واستدل – أيضًا– ببعض الأدلة على إثبات الشفاعة. وكذلك الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان وموجودتان الآن. وفي المقابل نجد توافقًا كبيرًا من جانب محققي المالكية الذين لا تخلو مصنفاتهم من مسائل اليوم الآخر مع آراء الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، فقد أوردوا الكثير من النصوص التي تثبت عذاب القبر ونعيمه، كما لم يخالفوا في مسألة الشفاعة، والميزان عندهم ميزان حقيقي حِسي له كفتان، ويوضع لوزن أعمال العباد يوم القيامة. كما أثبت محققو المالكية مسألة الحوض وذكروا أحاديثه التي بلغت حد التواتر أيضًا. ووافق علماء المالكية الإمام ابن القيم في إثبات الرؤية لله تعالى في الدار الآخرة، وقد اقتضى منهج البحث: جمع مسائل الإيمان باليوم الآخر عند الإمام ابن القيم واستخراجها من مصنفاته، ومقابلة ذلك بآراء محققي المالكية. وترتيب هذه النقول ووضعها في أماكنها المناسبة حسب خطة البحث. وكذلك التعليق على كلام الإمام ابن القيم إذا دعت الحاجة لذلك.

الكلمات المفتاحية: عذاب القبر ونعيمه، البعث، الصراط، الحوض، الشفاعة، الميزان.

Al-Tawafuq Bayn Imam Ibn al-Qayyim wa Muhaqqiqi al-Malikiyya fi Masail al-Iman bil-Yawm al-Akhir

Hussein bin Yusuf al-Yahyaoui
Department of Sharia and Islamic Studies - Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Saudi Arabia.
Email: Yhlra2009@gmail.com

Abstract:

This research discusses Imam Ibn al-Qayyim (may Allah have mercy on him), who is considered one of the most prominent scholars to have addressed matters related to the Last Day. His books and writings are regarded as an important reference in this field. The research also explores the agreement between Ibn al-Qayyim and the scholars of the Maliki school on these matters. Ibn al-Qayyim spoke about the "minor resurrection," which refers to death, and he mentioned that what occurs after death, leading to people entering either Paradise or Hell, is the "major resurrection." He (may Allah have mercy on him) provided many proofs of the punishment and rewards in the grave from the Qur'an and the Sunnah of the Prophet Muhammad (peace be upon him). He also discussed resurrection and the evidence related to it, as well as the Sirat (bridge), where he defined it, mentioned its proofs, clarified its location, and identified those who will cross it, those who will enter Hell before crossing it, and those who will stumble upon it. He also addressed the issue of the Al-Hawd (the Pond) and noted that the hadiths concerning the Pond reached the level of tawatur (mass transmission). He also used some proofs to establish the concept of intercession.Furthermore, he affirmed the existence of both Paradise and Hell, stating that they are created and currently exist. In contrast, there is a significant agreement from the scholars of the Maliki school, whose works also address matters related to the Last Day, with the views of Imam Ibn al-

Qayyim. They have cited many texts that prove the punishment and rewards in the grave, and they did not disagree on the issue of intercession. They also affirm the existence of a real, tangible scale (Mizan) with two pans, which will be used to weigh the deeds of people on the Day of Judgment. The Maliki scholars also affirmed the matter of the Pond and cited hadiths about it that have reached the level of tawatur as well. Additionally, the Maliki scholars agreed with Imam Ibn al-Qayyim on the concept of seeing Allah (may He be exalted) in the Hereafter.The research methodology involves gathering the matters of belief in the Last Day as discussed by Imam Ibn al-Qayyim, extracting them from his works, and comparing them with the views of the scholars of the Maliki school. The references are organized and placed in their appropriate sections according to the research plan. Additionally, commentary on Imam Ibn al-Qayyim's statements is provided where necessary.

Keywords: Adhab al-Qabr wa Na'imuhu, Al-Ba'th, Al-Sirat, Al-Hawd, Al-Shafa'a, Al-Mizan.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد،،،

فَيُعد الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة، والإيمان به واجب؛ بل إن كثيرًا ما يأتي الإيمان باليوم الآخر رديفًا للإيمان بالله تعالى، يقول سبحانه: (... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...)[1]. ولما كان الإمام ابن القيم من الأعلام الذين قاموا ببيان الشريعة والذب عنها، ونصرة السنة والذود عنها، فقد رغبت في إعداد بحث علمي يوضح جهود هذا الإمام في مسائل الإيمان باليوم الآخر، وكيفية توافقه – رحمه الله– مع محققي المالكية في تلك المسائل بشكل كبير.

وقد دعت جميع الرسل إلى الإيمان باليوم الآخر، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة "ذكر اليوم الآخر وتفاصيل أحواله، وذكر الجنة وتفاصيل نعيمها، والنار وتفاصيل عذابها، وذكر البرزخ وتفاصيل أحوال الخلق فيه، وذكر أشراط الساعة والإخبار بها مفصلاً بما لم يتضمنه كتاب غيره من حين قامت الدنيا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها". وللإمام ابن القيم جهود عظيمة مشكورة في توضيح العقيدة الإسلامية بأدلتها الشرعية من الكتاب العزيز والسنة النبوية، وله كلام كثير وتقريرات نفيسة حول مسائل الإيمان باليوم الآخر تتفق مع محققي المالكية.

أهمية الموضوع:

- أن موضوع البحث يتعلّق بالإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة ولا يصح إيمان العبد دون الإيمان بها.
- أن اليوم الآخر جاء ذكره في الكتب الإلهية كلها، وقد جاء ذكره في القرآن مفصلاً بما لم يتضمنه كتاب غيره، وما ذاك إلا لأهميته. فقد عني الدين الإسلامي الحنيف

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٧).

ببيان أهمية الإيمان باليوم الآخر وعظمته، وتنوعت أدلة الكتاب والسنة في إثباته والحث على الاستعداد له، والتحذير من مغبة إنكاره وخطورة تكذيبه، فموضوع بهذه الأهمية جدير بضبط مسائله وتحرير أدلته.

- أن في هذا الموضوع جمعًا لكلام إمام كبير القدر معروف بتحقيقه واتباعه للدليل ودفاعه عن عقيدة أهل السنة والجماعة، فجمعُ كلامِه وتحقيقاته في مسائل الإيمان باليوم الآخر من الأهمية بمكان، فضلًا عن بيان توافقه مع محققي المالكية.

أسباب اختيار الموضوع:

- كثرة كلام ابن القيم عن مسائل الإيمان باليوم الآخر، وأسلوبه الرائع دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، ومحاولة توضيح التوافق بينه وبين محققي المالكية. ولذا فإن جودة تحريرات وتقريرات ابن القيم وأسلوبه في تقرير مسائل العقيدة شدّني إلى البحث في هذا الموضوع وزادني رغبة فيه.
- أن كلام ابن القيم عن اليوم الآخر متناثر في كتبه فمن المناسب جمعه وترتيبه في موضع واحد.
- أهمية الموضوع كما سبق بيانه، حيث إنه يتعلق بركن أساس من أركان العقيدة الإسلامية، وهو الإيمان باليوم الآخر.

الدراسات السابقة:

١. موقف الإمام ابن القيم من آراء المتكلمين، للباحث: محمد سعيد صبري محمد صباح، رسالة دكتوراه، بكلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م. وقد تناول الباحث في بعض أجزاء الرسالة الحديث عن آراء المتكلمين في البرزخ، وموقف الإمام ابن القيم منها، كما تناول آراء المتكلمين في حقيقة المعاد، وموقف الإمام منها. إضافة إلى آراء المتكلمين في الجنة والنار، وموقف الإمام منها. وبالطبع نجد هذه الرسالة لا تتناول جميع آراء الإمام في مسائل اليوم الآخر، ولا تتعلق بما يخص محققي المالكية.

٢. جهود الإمام ابن القيم – رحمه الله– في تقرير مسائل الإيمان، للباحث: هشام بن خليل بن إبراهيم الحوسني، رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة

الإسلامية، بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م. وقد تناول الباحث في بعض أجزاء هذه الرسالة الحديث عن بيان الإمام ابن القيم لأركان الإيمان بصفة عامة، وذكر من ذلك: الإيمان بالله، والملائكة، والكتب السماوية، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر.

أما الدراسة التي بين أيدينا فهي تتناول مسألة التوافق بين الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى– مع محققي المالكية في مسائل اليوم الآخر، وهي ترصد حديث ابن القيم، ثم حديث وكلام محققي المالكية، وكيفية التوافق بينهما.

منهج البحث:

جمع مسائل الإيمان باليوم الآخر عند الإمام ابن القيم واستخراجها من مصنفاته، ومقابلة ذلك بآراء محققي المالكية. وترتيب هذه النقول ووضعها في أماكنها المناسبة حسب خطة البحث. وكذلك التعليق على كلام الإمام ابن القيم إذا دعت الحاجة لذلك، وإيراد كلام أهل العلم في المسألة التي هي محل البحث. بالإضافة إلى العناية بإيراد الدليل من الكتاب والسنة وما ورد في المسألة عن السلف كما هي طريقة ابن القيم في مؤلفاته، وشرح الأدلة بإيراد كلام أهل العلم عليها.

خطة البحث:

سوف يُقسم الباحث هذا الموضوع كما يأتي:

المبحث الأول: الإيمان باليوم الآخر عند ابن القيم ، ويشتمل على ثمانية مطالب :

المطلب الأول – القيامة الصغرى .

المطلب الثاني - القيامة الكبرى .

المطلب الثالث- عذاب القبر ونعيمه.

المطلب الرابع- البعث.

المطلب الخامس- الصراط .

المطلب السادس- الحوض.

المطلب السابع- الشفاعة.

المطلب الثامن- الجنة والنار.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر عند محققي المالكية ، ويشتمل على عشرة مطالب:

المطلب الأول- عذاب القبر ونعيمه.

المطلب الثاني- الساعة.

المطلب الثالث- البعث.

المطلب الرابع- الشفاعة.

المطلب الخامس- الحساب.

المطلب السادس- الميزان.

المطلب السابع- الصراط.

المطلب الثامن- الحوض.

المطلب التاسع- الجنة والنار.

المطلب العاشر- رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة..

المبحث الأول

الإيمان باليوم الآخر عند ابن القيم

عُرِّف اليوم الآخر بتعريفات كثيرة، فمنهم من عرفه باعتبار إضافة أشراط الساعة إليه، فتوسع في تعريفه، ومن العلماء من عرفه دون هذا الاعتبار، كما فعل شيخ الإسلام حين عرفه بقوله: "الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت". وما يكون بعد الموت، يتضمن مسائل كثيرة، مثل حياة البرزخ، والبعث والحشر والصراط والميزان وغيرها. ويقول شيخ الإسلام – رحمه الله– مبينًا مذهب أهل السنة في اليوم الآخر: (مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها الإيمان بالقيامة العامة التي يقوم الناس فيها من قبورهم لرب العالمين، ويجزي العباد حينئذ ويحاسبهم، ويدخل فريقًا الجنة وفريقًا النار، كما هو مبين في الكتاب والسنة. والإيمان مع ذلك بنعيم القبر وبعذابه، وبما يكون في البرزخ من حين الموت إلى حين القيامة من نعيم وعذاب فالإنسان منذ تفارق روحه بدنه هو إما في نعيم وإما في عذاب، فلا يتأخر النعيم والعذاب عن النفوس إلى حين القيامة العامة وإن كان كماله حينئذ، ولا تبقى النفوس المفارقة لأبدانها خارجة عن النعيم والعذاب ألوفا من السنين إلى أن تقوم القيامة الكبرى، وكذلك مذهب أهل السنة والجماعة الإقرار بمعاد الأرواح والأبدان جميعًا، وأن الروح باقية بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة...)[1].

وقد تميز الإمام ابن القَيِّم في حديثه عن اليوم الآخر، حتى عدت كتبه مرجعًا في هذا الباب، وقد ألف كُتبًا أفرد فيها بعض مسائل اليوم الآخر، كإفراده الجنة وما أعده الله لأهلها– جعلنا الله منهم– من نعيم مقيم، وحياة أبدية دائمة، وذلك في كتابه البديع (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)، مع حديثه عن بقية مسائل اليوم الآخر في كتب أخرى. وقد تكلم ابن القيم عن الموت وحياة البرزخ، وتكلم عن أشراط الساعة، والقيامة، والبعث، والصراط، والحوض، والميزان، والشفاعة، والجنة والنار، وغير ذلك.

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (٢/٩٢-٩٣).

المطلب الأول

القيامة الصغرى

يُعِد ابن القيم الموت قيامة صُغرى، قال رحمه الله: (... ثمَّ أخبر عَن الْقِيَامَة الصُّغْرَى وَهِي سكرة الْمَوْت وَأَنَّهَا تَجِيء بِالْحَقِّ وَهُوَ لقاؤه سُبْحَانَهُ والقدوم عَلَيْهِ وَعرض الرّوح عَلَيْهِ وَالثَّوَاب وَالْعِقَاب الَّذِي تعجل لها قبل القيامة الكبرى)[1]. وقد وصف – رحمه الله– هذه القيامة الصغرى بقوله: (فَإِذا بلغ الْأَجَل الَّذِي قدر لَهُ واستوفاه جَاءَتْهُ رسل ربه عز وَجل ينقلونه من دَار الفناء إِلَى دَار الْبَقَاء فجلسوا مِنْهُ مد الْبَصَر ثمَّ دنا مِنْهُ الْملك الْمُوكل بِقَبض الْأَرْوَاح فاستدعى بِالروحِ فَإِن كَانَت روحًا طيبَة قَالَ اخْرُجِي أيتها النَّفس الطّيبَة كَانَت فِي الْجَسَد الطّيب اخْرُجِي حميدة وَأَبْشِرِي بِروح وَرَيْحَان وَرب غير غَضْبَان فَتخرج من بدنه كَمَا تخرج القطرة من فِي السقاء فَإِذا أَخذهَا لم يَدعهَا الرُّسُل فِي يَدَيْهِ طرفَة عين فيحنطونها ويكفنونها بحنوط وكفن من الْجنَّة ثمَّ يصلونَ عَلَيْهَا وَيُوجد لَهَا كأطيب نفحة مسك وجدت على وَجه الأَرْض ثمَّ يصعد بهَا للعرض الأول على أسْرع الحاسبين فينتهي بهَا إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا فيستأذن لَهَا فَيفتح لَهَا أَبْوَاب السَّمَاء وَيُصلي عَلَيْهَا ملائكتها ويشيعها مقربوها إِلَى السَّمَاء الثَّانِيَة فيفعل بهَا كَذَلِك ثمَّ الثَّالِثَة ثمَّ الرَّابِعَة إِلَى أَن يَنْتَهِي بهَا إِلَى السَّمَاء الَّتِي فِيهَا الله عز وَجل فتحيي ربهَا تبَارك وَتَعَالَى بتَحِيَّة الربوبية اللَّهُمَّ أَنْت السَّلَام ومنك السَّلَام تَبَارَكت يَا ذَا الْجلَال وَالْإِكْرَام فَإِن شَاءَ الله أذن لَهَا بِالسُّجُود ثمَّ يخرج لَهَا التوقيع بِالْجنَّةِ فَيَقُول الرب جلّ جَلَاله: اكتبوا كتاب عَبدِي فِي عليين ثمَّ أعيدوه إِلَى الأَرْض فَإِنِّي مِنْهَا خلقتهمْ وفيهَا أعيدهم وَمِنْهَا أخرجهم تَارَة أُخْرَى ثمَّ ترجع روحه إِلَى الأَرْض فَتشهد غسله وتكفينه وَحمله وتجهيزه...) ثم ذكر بعد ذلك الروح الخبيثة وما تلاقيه في هذه الرحلة العظيمة[2].

---

(١) الفوائد (١/١٠).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (١/٣٠٣).

المطلب الثاني

القيامة الكبرى

ويُعِدُ الإمام ابن القَيِّم ما بعد الموت إلى دخول الناس الجنة أو النار قيامة كبرى (... ثمَّ ذكر الْقِيَامَة الْكُبْرَى بقوله: (وَنُفِخَ فِي الصُّور ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيد)[1] ثمَّ أخبر عَن أَحْوَال الْخلق فِي هَذَا الْيَوْم وَأَن كل أحد يَأْتِي الله سُبْحَانَهُ ذَلك الْيَوْم وَمَعَهُ سائق يَسُوقهُ وشهيد يشْهد عَلَيْهِ وَهَذَا غير شَهَادَة جوارحه وَغير شَهَادَة الأَرْض الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا لَهُ عَلَيْهِ وَغير شَهَادَة رَسُوله وَالْمُؤمنِينَ فَإِن الله سُبْحَانَهُ يستشهد على العَبْد الْحفظَة والأنبياء والأمكنة الَّتِي عمِلُوا عَلَيْهَا الْخَيْر وَالشَّر والجلود الَّتِي عصوه بهَا وَلَا يحكم بَينهم بمجرّد علمه وَهُوَ أعدل العادلين وَأحكم الْحَاكِمين. وَلِهَذَا أخبر نبيه أَنه يحكم بَين النَّاس بِمَا سَمعه من إقرارهم وَشَهَادَة البيّنة لَا بمجرّد علمه فَكيف يسوغ لحَاكم أَن يحكم بِمُجَرَّد علمه من غير بيّنة وَلَا إِقْرَار). وقد أوضح رحمه الله أنه (إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى)_[2].

المطلب الثالث

عذاب القبر ونعيمه

نَبَّه ابن القيم – رحمه الله– إلى التفريق بين ما يمكن للعقل معرفته، وما لا يمكن للعقل إدراكه دون ورود الشرع، وذلك مثل الغيبيات التي لا يمكن لعقل مهما بلغ في الذكاء والفطنة أن يدركه إلا بنص عن الله ورسوله ﷺ ومن هذه الأمور الغيبية عذاب القبر ونعيمه، فهي حياة غيبية لم يرد فيها نص لم نعلم شيئًا عنها، وهذا يميز المؤمن بالغيب دون أن يراه، وذلك بمجرد إخبار الله ورسوله عنه يقول سبحانه: (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...)[3]. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (مَسَائِلُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَسُؤَالُ الْمَلَكَيْنِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْأُصُولِ

(١) سورة ق، الآية (٢٠).

(٢) الفوائد (١٠/١).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢-٣).

الَّتِي لَا تُعْلَمُ قَبْلَ وُرُودِ الشَّرْعِ)[1]فلا مجال للعقل للخوض فيها، فلا تُعلم إلا بورود الأدلة الشرعية.

يقول ابن القيم: (وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى شَاءَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ..)[2]وَأَنَّ الْخَلْقَ مَيِّتُونَ بِآجَالِهِمْ فَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاءِ فِي سِجِّينٍ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُضْغَطُونَ وَيُسْأَلُونَ وَيُثَبِّتُ اللَّهُ مَنْطِقَ مِنْ أَحَبَّ تَثْبِيتَهُ)[3].

ويبين ابن القيم حاجة الميت للدعاء: (فالميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلى من يدعو له ويشفع له. ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء له، وجوبًا واستحبابًا، ما لم يشرع مثله في الدعاء للحي. قال عوف بن مالك: "صَلّى رسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِه وَهُوَ يَقُولُ: "اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحمهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسعْ مَدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِهِ مِنَ الْخَطَايَا كما نَقّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِه، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ. وَأَدْخِلْهُ الجنة، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. حتى تمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا المَيتُ، لِدُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى ذلِكَ المَيتِ" رواه مسلم[4].

والأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه كثيرة، سرد الإمام ابن القيم كثيرًا منها، ومن ذلك:

قَوله تَعَالَى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)[5] قال: (فَسرهَا غير وَاحِد من السّلف بِعَذَاب الْقَبْر وَجعلُوا هَذِه الآيَة أحد الأدلة الدَّالَّة على عَذَاب الْقَبْر وَلِهَذَا قَالَ: ونحشره يَوْم الْقِيَامَة أعمى قَالَ رب لم حشرتني أعمى وَقد كنت بَصيرًا؟ قَالَ: كَذَلِك أتتك آيَاتنَا فنسيتها وَكَذَلِكَ الْيَوْم تنسى. أَي تترك فِي الْعَذَاب كما تركت الْعَمَل بِآيَاتِنَا فَذكر عَذَاب البرزخ وَعَذَاب دَار البوار).

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٥٩٥/١).

(٢) سورة السجدة، الآية (١١).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٥٢/٢).

(٤) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (٢٠١/١).

(٥) سورة طه، الآية (١١).

واستدل – أيضًا– بقوله تعالى: فِي حق آل فِرْعَوْن (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا)[1]فَهَذَا فِي البرزخ، (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)[2] فَهَذَا فِي الْقِيَامَة الْكُبْرَى، واستدل بقوله تَعَالَى (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)[3] فَقَوْل الْمَلَائِكَة الْيَوْم تُجْزونَ عَذَاب الْهون المُرَاد بِهِ عَذَاب البرزخ الَّذِي أَوله يَوْم الْقَبْض وَالْمَوْت وَاستدل – أيضًا– بقَوْله تَعَالَى (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)[4] فَهَذِهِ الإذاقة هِيَ فِي البرزخ وأولها حِين الْوَفَاة فَإِنَّهُ مَعْطُوف على قَوْله يضْربُونَ وُجُوههم وأدبارهم وَهُوَ من القَوْل الْمَحْذُوف مقوله لدلَالَة الْكَلَام عَلَيْهِ كنظائره، وكِلَاهُمَا وَاقع وَقت الْوَفَاة، واستدل بِحديث الْبَراء بن عَازِب رضى الله عَنهُ فِي قَوْله تَعَالَى يثبت الله الَّذين امنوا بِالْقَوْلِ الثَّابِت فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَفِي الآخرة قَالَ: نزلت فِي عَذَاب الْقَبْر، والأحاديث فِي عَذَاب الْقَبْر تكَاد تبلغ حد التَّوَاتُر وَالْمَقْصُود أن الله سُبْحَانَهُ أخبر أن من أعْرض عَن ذكره وَهُوَ الْهدى الَّذِي من اتبعهُ لَا يضل وَلَا يشقى؛ فَإِن لَهُ معيشة ضنكا.

المطلب الرابع

البعث

وردت أدلة كثيرة في إثبات البعث، منها أدلة شرعية، ومنها أدلة عقلية، ومنها أدلة حِسِّيَة، وقد استدل الإمام ابن القيم في تثبيت أمر البعث بقول الله سبحانه (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[5].. إلى آخر السورة. وهذا دليل شرعي عقلي حسي، فالله تبارك وتعالى ضرب مثلًا بالعظم الذي رم، وهو عظم محسوس يرى بالأبصار، وخاطب العقول السليمة، فمن أوجد العظم من العدم أليس بقادر على إعادته مرة أخرى، ولهذا كابر

(١) سورة غافر، الآية (٤٦).
(٢) سورة غافر، الآية (٤٦).
(٣) سورة الأنعام، الآية (٩٣).
(٤) سورة الأنفال، الآية (٥٠).
(٥) سورة يس، الآيتان (٧٨– ٧٩).

المشركون في إنكارهم البعث فتواردت الأدلة في كفرهم، بإنكارهم ركنًا من أركان الإيمان.

قال ابن القيم معلقًا على هذا الدليل: (فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو بمثلها، في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز والاختصار ووضوح الدلالة وصحة البرهان؛ لألفى نفسه ظاهر العجز منقطع الطمع يستحي الناس من ذلك). فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده الملحد اقتضى جوابًا فكان في قوله سبحانه: (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) ما وفى بالجواب وأقام الحجة وأزال الشبهة لولا ما أراد سبحانه من تأكيد حجته وزيادة تقريرها، وذلك أنه سبحانه أخبر أن هذا الملحد السائل عن هذه المسألة لو لم ينس خلق نفسه، وبدأ كونه وذكر خلقه؛ لكانت فكرته فيه كافية في جوابه مسكتة له عن هذا السؤال، ثم أوضح سبحانه ما تضمنه قوله (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) وصرح به جوابًا له عن مسألته فقال: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[1] فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى إذ كل عاقل يعلم علمًا ضروريًّا أن من قدر على هذه قدر على هذه وأنه لو كان عاجزًا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز. ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه بتفاصيل خلقه؛ أتبع ذلك بقوله (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[2] فهو عليم بالخلق الأول وتفاصيله وجزئياته ومواده وصورته وعلله الأربع. وكذلك هو عليم بالخلق الثاني وتفاصيله ومواده وكيفية إنشائه فإن كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان[3].

وللإيمان بالبعث تعلق كبير بتوحيد الربوبية، فمن أنكره فقد أنكر قدرة الله تعالى، وكفر بربوبيته سبحانه، وقد استدل ابن القيم بقول الله تعالى: (فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ. تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[4]. قال: فَإِنَّهَا سِيقَتْ لِلِاحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ فِي إِنْكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الدَّلِيلُ مُسْتَلْزِمًا لِمَدْلُولِهِ، بِحَيْثُ يَنْتَقِلُ الذِّهْنُ مِنْهُ إِلَى الْمَدْلُولِ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ التَّلَازُمِ، فَيَكُونُ الْمَلْزُومُ دَلِيلًا عَلَى لَازِمِهِ، وَلَا يَجِبُ الْعَكْسُ.

---

(١) سورة يس، الآية (٧٩).

(٢) سورة يس، الآية (٧٩).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة(٢/٤٣٧).

(٤) سورة الواقعة، الآيتان (٨٦-٨٧).

وَوَجْهُ الاسْتِدْلَالِ: أَنَّهُمْ إِذَا أَنْكَرُوا الْبَعْثَ وَالْجَزَاءَ فَقَدْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأَنْكَرُوا قُدْرَتَهُ وَرُبُوبِيَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ، فَإِمَّا أَنْ يُقِرُّوا بِأَنَّ لَهُمْ رَبًّا قَاهِرًا مُتَصَرِّفًا فِيهِمْ، كَمَا سَيُمِيتُهُمْ إِذَا شَاءَ وَيُحْيِيهِمْ إِذَا شَاءَ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ، وَيُثِيبُ مُحْسِنَهُمْ وَيُعَاقِبُ مُسِيئَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ لَا يُقِرُّوا بِرَبٍّ هَذَا شَأْنُهُ، فَإِنْ أَقَرُّوا بِهِ آمَنُوا بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَالدِّينِ الْأَمْرِيِّ وَالْجَزَائِيِّ، وَإِنْ أَنْكَرُوهُ كَفَرُوا بِهِ، فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مَرْبُوبِينَ وَلَا مَحْكُومٍ عَلَيْهِمْ، وَلَا لَهُمْ رَبٌّ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَمَا أَرَادَ، فَهَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِ الْمَوْتِ عَنْهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ، وَعَلَى رَدِّ الرُّوحِ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ، وَهَذَا خِطَابٌ لِلْحَاضِرِينَ وَهُمْ عِنْدَ الْمُحْتَضِرِ، وَهُمْ يُعَاينُونَ مَوْتَهُ، أَيْ: فَهَلَّا تَرُدُّونَ الرُّوحَ إِلَى مَكَانِهَا إِنْ كَانَ لَكُمْ قُدْرَةٌ وَتَصَرُّفٌ، وَلَسْتُمْ بِمَرْبُوبِينَ وَلَا بِمَقْهُورِينَ لِقَاهِرٍ قَادِرٍ، تَمْضِي عَلَيْكُمْ أَحْكَامُهُ، وَتَنْفُذُ أَوَامِرُهُ، وَهَذِهِ غَايَةُ التَّعْجِيزِ لَهُمْ، إِذْ بَيَّنَ عَجْزَهُمْ عَنْ رَدِّ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى مَكَانِهَا، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَى ذَلِكَ الثَّقَلَانِ، فَيَا لَهَا مِنْ آيَةٍ دَالَّةٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَصَرُّفِهِ فِي عِبَادِهِ، وَنُفُوذِ أَحْكَامِهِ فِيهِمْ، وَجَرَيَانِهَا عَلَيْهِمْ[1].

واستدل ابن القيم – أيضًا– على البعث بأدلة النفخ في الصور، وذكر عدد النفخات، وهل هي نفختان أو ثلاثة، على خلاف بين أهل العلم، وابن القيم يرجح أنها ثلاث: نفخة الفزع، ونفخة الموت، ونفخة البعث، يقول رحمه الله: (أَمر الله سُبْحَانَهُ إِسْرَافِيل فَنفخ فِي الصُّور نفخة الْبَعْث وَهِي الثَّالِثَة وَقبلهَا نفخة الْمَوْت وَقبلهَا نفخة الْفَزع فتشققت الأَرْض عَنْهُم فَإِذا هم قيام ينظرُونَ يَقُول الْمُؤمن الْحَمد لله الَّذِي أَحْيَانَا بعد مَا أماتنا وإليه النشور وَيَقُول الْكَافِر (يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ)[2] فيساقون الى الْمَحْشَر حُفَاة عُرَاة غرلًا بهما مَعَ كل نفس سائق يَسُوقهَا وشهيد يشْهد عَلَيْهَا وهم بَين مسرور ومثبور وضاحك وَبَاكٍ (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ .ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ.وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ. تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ)[3] حَتَّى إِذا تكاملت عدتهمْ وصاروا جَمِيعًا على وَجه الأَرْض تشققت السَّمَاء وانتثرت الْكَوَاكِب وَنزلت مَلَائِكَة السَّمَاء فأحاطت بهم ثمَّ نزلت مَلَائِكَة السَّمَاء الثَّانِيَة فأحاطت بملائكة السَّمَاء الدُّنْيَا ثمَّ كل سَمَاء كَذَلِك فَبَيْنَمَا هم كَذَلِك إِذْ جَاءَ رب الْعَالمين سُبْحَانَهُ لفصل الْقَضَاء فأشرقت الأَرْض

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٠٦/١)

(٢) سورة يس، الآية (٥٢).

(٣) سورة عبس، الآيات (٣٨: ٤١).

بنوره وتميز المجرمون من الْمُؤمنِينَ وَنصب الْمِيزَان وأحضر الدِّيوَان واستدعي بالشهود وَشهِدت يَوْمئِذٍ الْأَيْدِي والألسن والأرجل والجلود وَلَا تزَال الْخُصُومَة بَين يَدي الله سُبْحَانَهُ حَتَّى يخْتَصم الرّوح والجسد فَيَقُول الْجَسَد إِنَّمَا كنت مَيتًا لَا أعقل وَلَا أسمع وَلَا أبْصر وَأَنت كنت السميعة المبصرة الْعَاقِلَة وَكنت تصرفينني حَيْثُ أردْت فَتَقول الرّوح وَأَنت الَّذِي فعلت وباشرت الْمعْصِيَة وبطشت فَيُرْسل الله سُبْحَانَهُ إليهما ملكًا يحكم بَينهمَا فَيَقُول مثلكما مثل بَصِير مقْعد وأعمى صَحِيح دخلا بستانًا فَقَالَ المقعد أَنا أرى الثِّمَار وَلَا أَسْتَطِيع أَن أقوم إِلَيْهَا وَقَالَ الْأَعْمَى أَنا أَسْتَطِيع الْقيام وَلَكِن لَا أرى شَيْئا فَقَالَ لَهُ المقعد احملني حَتَّى أصل إِلَى ذَلِك ففعلا فعلى من تكون الْعقُوبَة فَيَقُولَانِ عَلَيْهِمَا فَيَقُول فَكَذَلِك أَنْتُمَا فَيحكم الله سُبْحَانَهُ بَين عباده بحكمه الَّذِي يحمده عَلَيْهِ جَمِيع أهل السَّمَاوَات)[1].

المطلب الخامس

الصراط

استدل ابن القيم على الإيمان بالصراط، فعرفه وذكر أدلته، وبين مكانه، ومن الذي يجوزه ومن الذي يدخل النار قبله، ومن الذي تزل به القدم، يقول ابن القيم: (الصِّرَاطَ جِسْرٌ مَوْرُودٌ يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ)[2]. ووصف الصراط بأنه (... أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ رُكُوبَهُ مِنْ أَشَقِّ الْأُمُورِ، وَأَصْعَبِهَا حَتَّى أَنَّ الرُّسُلَ لَتُشْفِقُ مِنْهُ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ)[3]. وقال: (فَإِذَا كَانَ يَوْمُ لِقَائِهِ نَصَبَ لِخَلْقِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا يُوَصِّلُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ، ثُمَّ صَرَفَ عَنْهُ مَنْ صَرَفَ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا، وَأَقَامَ عَلَيْهِ مَنْ أَقَامَهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، نُورًا ظَاهِرًا يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ فِي ظُلْمَةِ الْحَشْرِ، وَحَفِظَ عَلَيْهِمْ نُورَهُمْ حَتَّى قَطَعُوهُ كَمَا حَفِظَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ حَتَّى لَقُوهُ، وَأَطْفَأَ نُورَ الْمُنَافِقِينَ أَحْوَجَ مَا كَانُوا إِلَيْهِ، كَمَا أَطْفَأَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا. وَأَقَامَ أَعْمَالَ الْعُصَاةِ بِجَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبَ وَحَسَكًا تَخْطِفُهُمْ كَمَا خَطَفَتْهُمْ فِي الدُّنْيَا عَنِ الِاسْتِقَامَةِ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ قُوَّةَ سَيْرِهِمْ وَسُرْعَتَهُمْ عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ سَيْرِهِمْ وَسُرْعَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا)[4].

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (٣٠٦/١).
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (١٥٣/٢).
(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٠٦/١)
(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٢٣/١).

وقد استدل ابن القيم بما: (صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ؟ فَقَالَ عَلَى الصِّرَاطِ وَفِي لَفْظٍ آخَرَ هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ، فَسُئِلَ: مَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إجَازَةً، فَقَالَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ) ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ، وَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ الْجَوَابَيْنِ فَإِنَّ الظُّلْمَةَ أَوَّلُ الصِّرَاطِ؛ فَهُنَاكَ مَبْدَأُ التَّبْدِيلِ، وَتَمَامُهُ وَهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ[1]. وبحديث: (هَلْ تَذْكُرُونَ أَهَالِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: أَمَّا فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا، حَيْثُ يُوضَعُ الْمِيزَانُ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَثْقُلُ مِيزَانُهُ أَمْ يَخِفُّ، وَحَيْثُ يَتَطَايَرُ الْكُتُبُ حَتَّى يَعْلَمَ كِتَابَهُ مِنْ يَمِينِهِ أَوْ مِنْ شِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَحَيْثُ يُوضَعُ الصِّرَاطُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ، عَلَى حَافَّتَيْهِ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، يَحْبِسُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَنْجُو أَمْ لَا يَنْجُو)[2].

واستدل- أيضًا- بسؤال أنس للنبي ﷺ (أَنْ يَشْفَعَ لَهُ، فَقَالَ: إنِّي فَاعِلٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: اُطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ، قُلْتُ: فَإِذَا لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: فَأَنَا عَلَى الْمِيزَانِ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ، لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَوَاطِنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[3].

ومن الأدلة – أيضًا- (في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين...)[4]. ومن المواضع التي سال قلم ابن القيم فيها، فأخرج دررًا من درره التي تسلب الألباب، حديثه عن المشي على الصراط، وكيف يسلب الله المنافقين النور الذي أعطاهم، بعد أن تخلوا عنه في الدنيا حين رأوه متمثلاً في كتاب الله تعالى، يقول رحمه الله: (وَفِيهِ: أَنَّ أَهْلَ النُّورِ هُمْ أَهْلُ الْمَشْيِ فِي النَّاسِ، وَمَنْ سِوَاهُمْ أَهْلُ الزَّمَانَةِ وَالِانْقِطَاعِ فَلَا مَشْيَ لِقُلُوبِهِمْ وَلَا لِأَحْوَالِهِمْ، وَلَا لِأَقْوَالِهِمْ، وَلَا لِأَقْدَامِهِمْ إِلَى الطَّاعَاتِ. وَكَذَلِكَ لَا تَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ إِذَا مَشَتْ بِأَهْلِ الْأَنْوَارِ أَقْدَامُهُمْ.[5]وَعند تفسيره لقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ)[6] قال: (نُكْتَةٌ بَدِيعَةٌ وَهِيَ: أَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى الصِّرَاطِ بِأَنْوَارِهِمْ كَمَا يَمْشُونَ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ لَا

(١) إعلام الموقعين (٢٠٦/٤).
(٢) إعلام الموقعين (٢٠٦/٤).
(٣) المصدر السابق.
(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٣٩٠/١).
(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (٤٤/٢).
(٦) سورة الحديد، الآية (٢٨).

نُورَ لَهُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْقُلَ قَدَمًا عَنْ قَدَمٍ عَلَى الصِّرَاطِ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ)[1].

وقد ذكر ابن القيم أقسام الناس في مشيهم على الصراط، فقال: (وَمِنْهَا: قَسْمُهُ الْأَنْوَارَ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يُعْطَى مِنَ النُّورِ هُنَاكَ بِحَسَبِ قُوَّةِ نُورِ إِيمَانِهِ وَيَقِينِهِ وَإِخْلَاصِهِ وَمُتَابَعَتِهِ لِلرَّسُولِ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالشَّمْسِ وَدُونَ ذَلِكَ كَالْقَمَرِ وَدُونَهُ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ نُورُهُ كَالسِّرَاجِ فِي قُوَّتِهِ وَضَعْفِهِ وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يُعْطَى نُورًا عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِئُ مَرَّةً وَيُطْفِئُ أُخْرَى بِحَسَبِ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ هَذَا النُّورُ بِعَيْنِهِ أَبْرَزَهُ اللَّهُ لِعَبْدِهِ فِي الْآخِرَةِ ظَاهِرًا يُرَى عِيَانًا بِالْأَبْصَارِ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِهِ غَيْرُهُ وَلَا يَمْشِي أَحَد إِلَّا فِي نُورِ نَفْسِهِ إِنْ كَانَ لَهُ نُورٌ مَشَى فِي نُورِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ أَصْلًا لَمْ يَنْفَعْهُ نُورُ غَيْرِهِ[2].

وقد وضح الإمام ابن القيم السر في مرور المنافقين على الصراط دون الكفار، فقال: (ولما أظهر المنافقون الإسلام وأسروا الكفر، وأظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نورًا على الصراط، وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط وأسر لهم أن يطفئ نورهم، وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم)[3]. وقال رحمه الله: (فأما أصحاب الحسنات فإنهم يعطون نورًا يمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورًا، فإذا أتوا على الصراط سلب الله تعالى نور كل منافق ومنافقة، فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا: (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا..[4])[5].

وقد قسم ابن القيم الناس إلى طبقات، وذكر (الطبقة الخامسة عشرة: طبقة الزنادقة، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل، وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسوله. وهؤلاء المنافقون، وهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٤٨/٢).
(٢) المصدر السابق (٨٦/٢).
(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (٣٦/١).
(٤) سورة التحريم، الآية (٨).
(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٣٨٢/١).

الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)[1]ووضح رحمه الله أن (الكفار المجاهرون بكفرهم أخف، وهم فوقهم في دركات النار. لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين، ولهذا قال تعالى في حقهم: (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)[2] ثم بين (أن هذه الطبقة أشقى الأشقياءِ، ولهذا يستهزأُ بهم في الآخرة، وتعطى نورًا يتوسطون به على الصراط ثم يطفئ الله نورهم، ويقال لهم: (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا)[3]ويضرب بينهم وبين المؤمنين: (بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ . يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ)[4] وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاءِ أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح، حتى إذا ظن أنه ناج ورأى منازل السعداءِ اقتطع عنهم وضربت عليه الشقوة ونعوذ بالله من غضبه وعقابه.

أما أهل النار (فإنهم قد تبوءوا منازلهم منها فإنهم لا يجوزون على الصراط ولا يحبسون على تلك القنطرة، ففي الحديث الصحيح: "أنه لما ينادي المنادى لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فتتبع المشركون أوثانهم وآلهتهم فتتساقط بهم في النار وتبقى هذه الأمة في الموقف حتى يأتيها ربها ــ عز وجل ــ ويقول ألا تنطلقون حيث انطلق الناس؟"[5]ويعلل ابن القيم – رحمه الله– إعطاء المنافق نورًا ظاهرًا في الآخرة بأنه: (لَمَّا كَانَ الْمُنَافِقُ فِي الدُّنْيَا قَدْ حَصَلَ لَهُ نُورٌ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُسْتَمِرٍّ وَلَا مُتَّصِلٍ بِبَاطِنِهِ وَلَا لَهُ مَادَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ أُعْطِيَ فِي الْآخِرَةِ نُورًا ظَاهِرًا لَا مَادَّةَ لَهُ ثُمَّ يُطْفَأُ عَنْهُ أَحْوَجُ مَا كَانَ إِلَيْهِ)[6].

وقد نبه ابن القيم أن حال الناس في الآخرة يكون تبعًا لحالهم في الدنيا: (وَمِنْهَا: أَنَّ مَشْيَهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ فِي السُّرْعَةِ وَالْبُطْءِ بِحَسَبِ سُرْعَةِ سَيْرِهِمْ وَبُطْئِهِ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا فَأَسْرَعُهُمْ سَيْرًا هُنَا أَسْرَعُهُمْ هُنَاكَ وَأَبْطَأُهُمْ هُنَا أَبْطَأُهُمْ هُنَاكَ. وَأَشَدُّهُمْ ثَبَاتًا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ "هُنَا" أَثْبَتُهُمْ هُنَاكَ وَمَنْ خَطِفَتْهُ كَلَالِيبُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَالْبِدَعِ الْمُضِلَّةِ هُنَا خَطِفَتْهُ الْكَلَالِيبُ الَّتِي كَأَنَّهَا شَوْكُ السَّعْدَانِ هُنَاكَ

(١) سورة النساء، الآية (١٤١).
(٢) سورة المنافقون، الآية (٤).
(٣) سورة الحديد، الآية (١٣).
(٤) سورة الحديد، الآية (١٣– ١٤).
(٥) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (١/٢٦٠).
(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/٤٨).

وَيَكُونُ تَأْثِيرُ الْكَلَالِيبِ فِيهِ هُنَاكَ فِيهِ عَلَى حَسَبِ الشَّهَوَاتِ "وَالشُّبُهَاتِ" وَالْبِدَعِ فِيهِ هَاهُنَا فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ، وَمَخْزُولٌ أَيْ: مُقَطَّعٌ بِالْكَلَالِيبِ مُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ كَمَا أَثَّرَتْ فِيهِمْ تِلْكَ الْكَلَالِيبُ فِي الدُّنْيَا "جَزَاءً وِفَاقًا" "وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"[1]. وقال رحمه الله: (وعَلَى قَدْرِ ثُبُوتِ قَدَمِ العبد عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ يَكُونُ ثُبُوتُ قَدَمِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَعَلَى قَدْرِ سَيْرِهِ عَلَى هَذِهِ الصِّرَاطِ يَكُونُ سَيْرُهُ عَلَى ذلك الصراط، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى سَعْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْوًا، وَمِنْهُمُ الْمَخْدُوشُ الْمُسَلَّمُ، وَمِنْهُمُ الْمُكَرْدَسُ فِي النَّارِ، فَلْيَنْظُرِ الْعَبْدُ سَيْرَهُ عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاطِ مِنْ سَيْرِهِ عَلَى هَذَا، حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، جَزَاءً وِفَاقًا[2](هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[3].

أما حال المؤمنين بعد مجاوزة الصراط فيقول ابن القيم: (فإذا جاوز المؤمنون الصراط – ولا يجوزه إلا مؤمن – أمنوا من دخول النار، فيحبسون هناك على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في دار الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجنة)[4]. وأختم هذا المطلب بما نظمه الإمام ابن القيم في نونيته القيمة:

وإذا أراد الله إخراج الورى ... بعد الممات إلى المعاد الثاني
ألقى على الأرض التي هم تحتها ... والله مقتدر وذو سلطان
مطراً غليظاً أبيضاً متتابعاً ... عشراً وعشراً بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجسام الورى ... ولحومهم كمنابت الريحان
حتى إذا ما الأم حان ولادها ... وتمخضت فنفاسها متدان
وتخلت الأم الولود وأخرجت ... فبدا الجنين كأكمل الشبان
والله ينشىء خلقه في نشأة ... أثقالها أنثى ومن ذكران
أوحى لها رب السما فتشققت ... أخرى كما قد قال في القرآن
هذا الذي جاء الكتاب وسنة الـ ... ـهادي به فاحرص على الإيمان[5]

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٦/٢).
(٢) مدارج السالكين في منازل السائرين (٣٣/١).
(٣) سورة النمل، الآية (٩٠).
(٤) تحفة المودود بأحكام المولود (٣١٠/١).
(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص(٤٠).

المطلب السادس

الحوض

من المسائل التي استدل بها ابن القيم على إثبات الإيمان باليوم الآخر، مسألة الحوض، التي تعد عند أهل السنة من الأمور المتواترة، المُسلم بها. قال ابن القيم: (وحوض محمد حق، حوض ترده أمته، ولهم آنية يشربون بها...)[١]. ويقول رحمه الله: (وقد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة، وكثير منها وأكثرها في الصحيح: عمر بن الخطاب، وأنس، وجابر بن عبد الله، وجابر بن سمرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس...)[٢].

فأحاديث الحوض بلغت حد التواتر، كما يذكر ابن القيم، ومن الأدلة التي استدل بها ابن القيم على الحوض: (قَول النبي ﷺ لِلْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً. فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)[٣] فهو وعد من النبي ﷺ لأمته بالصبر والثبات على الإيمان، حتى يردوا على حوضه ﷺ ويشربوا منه. والمتمسكون بسنة النبي ﷺ الثابتون عليها، فإنهم أكثر وروداً للحوض، وشرباً منه، وذلك لورودهم حوض الدنيا وهو سنته ﷺ ويبين رحمه الله: (أَنَّ وُرُودَ النَّاسِ الْحَوْضَ وَشُرْبَهُمْ مِنْهُ يَوْمَ الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ بِحَسَبِ وُرُودِهِمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشُرْبِهِمْ مِنْهَا، فَمَنْ وَرَدَهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ وَشَرِبَ مِنْهَا وَتَضَلَّعَ وَرَدَ هُنَاكَ حَوْضَهُ وَشَرِبَ مِنْهُ وَتَضَلَّعَ فَلَهُ ﷺ حَوْضَانِ عَظِيمَانِ: حَوْضٌ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ سُنَّتُهُ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَحَوْضٌ فِي الْآخِرَةِ، فَالشَّارِبُونَ مِنْ هَذَا الْحَوْضِ فِي الدُّنْيَا هُمُ الشَّارِبُونَ مِنْ حَوْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَشَارِبٌ وَمَحْرُومٌ وَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ...)[٤].

وحوض النبي ﷺ- كما ذكرت- يشرب منه المتمسكون بسنته، وهناك من يُذاد عنه، ويمنع من وروده، فأخبر أن هناك من يُذاد عن الحوض والذين يذودونهم (الْمَلَائِكَةُ عَنْ حَوْضِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَذُودُونَ أَنْفُسَهُمْ وَأَتْبَاعَهُمْ عَنْ سُنَّتِهِ وَيُؤْثِرُونَ

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٤١٢/١).
(٢) تهذيب سنن أبي داود (٧٩/١٣).
(٣) مدارج السالكين في منازل السائرين (٢٧٨/٢).
(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥/٢).

عَلَيْهَا غَيْرَهَا فَمَنْ ظَمِأَ مِنْ سُنَّتِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْهَا شُرْبٌ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ ظَمَأً وَأَحَرُّ كَبِدًا)[1]. فما أعظمها من خسارة، وما أشده من حرمان.

ولكن ما صفات هذا الحوض؟ كم طوله؟ كيف يرده الناس؟ كيف يشربون منه؟ أجاب ابن القيم عن هذه الأسئلة بحديث جاء في مسند البزار، من حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ (إن لي حوضًا ما بين بيت المقدس إلى الكعبة، أبيض من اللبن، فيه عدد الكواكب آنية، وأنا فرطكم على الحوض، ولكل نبي حوض، وكل نبي يدعو أمته، فمنهم من يرد عليه فئام من الناس، ومنهم من يرد عليه ما هو دون ذلك، ومنهم من يرد عليه العصابة، ومنهم من يرد عليه الرجلان والرجل، ومنهم من لا يرد عليه أحد، فيقول: اللهم قد بلغت، اللهم قد بلغت، ثلاثًا) وذكر الحديث[2].

وقد ناقش ابن القيم- رحمه الله- مسألة تشكل أحيانًا، هل هو حوض واحد أو هناك أكثر من حوض؟ ورجح أن لكل نبي حوض يقول رحمه الله: (وهل الحوض مختص بنبينا ﷺ أم لكل نبي حوض؟ فالحوض الأعظم مختص به، لا يشركه فيه نبي غيره، وأما سائر الأنبياء فقد قال الترمذي في الجامع حدثنا أحمد بن محمد بن نيزك البغدادي حدثنا محمد بن بكار الدمشقي حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ (إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة)[3].

وقد سرد الإمام ابن القيم- رحمه الله تعالى- الأقوال: هل الحوض قبل الصراط أم بعده؟ ورجح أنه بعد الصراط؛ لأن أهل الجنة: (يَرِدُونَهُ أَظْمَأَ مَا هُمْ إِلَيْهِ، وَهَذَا يُنَاسِبُ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ الصِّرَاطِ، فَإِنَّهُ جِسْرُ النَّارِ وَقَدْ وَرَدُوهَا كُلُّهُمْ، فَلَمَّا قَطَعُوهُ اشْتَدَّ ظَمَؤُهُمْ إِلَى الْمَاءِ فَوَرَدُوا حَوْضَهُ ﷺ كَمَا وَرَدُوهُ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ)[4] فالناس قد أتعبهم طول الوقوف، وشدة الحر، وهيبة الصراط ورعبه، ولذا احتاجوا إلى الماء، فكان الحوض أحوج ما يكونون إليه.

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (٨٥/٢).

(٢) تهذيب سنن أبي داود (٨٠/١٣).

(٣) تهذيب سنن أبي داود (٨٠/١٣).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٥٩٧/٣).

المطلب السابع

الشفاعة

استدل ابن القيم بالشفاعة على إثبات الإيمان باليوم الآخر، ومسألة الشفاعة مما خاضت فيه الفِرق كثيرًا، بإنكار ورد للأحاديث، أو بتأويل كما تفعل الباطنية في كثير من النصوص. وقد استدل الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى– ببعض الأدلة على إثبات الشفاعة منها قول الله تعالى: (وَلا يَشْفَعُونَ إلا لَمنِ ارْتَضَى)[1]. وقوله سبحانه: (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحمنُ وَرَضِى لَهُ قَوْلاً)[2]. ثم ذكر للشفاعة شرطان لا بد من توفرهما: (فأخبر أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضاء قول المشفوع له، وإذنه للشافع فيه، فأما المشرك فإنه لا يرتضيه، ولا يرضى قوله، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فإنه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له، وإذنه للشافع، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة[3]. واختلال هذين الشرطين معناه: عدم وقوع الشفاعة، فلا يمكن أن تتم الشفاعة إلا بهما. وقد ذكر الإمام ابن القيم الشفاعة، وفرق بين الشفاعة الشرعية والشفاعة الشركية، واستدل بقول الله تعالى (أَمِ اتخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ. قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ)[4].

فلا يملك الشفاعة إلا الله تعالى، فيأذن لمن يشاء ويرضى عمن يشاء، ولا يمكن أن تدرك الشفاعة بالشرك، وهو اتخاذ الوسطاء شفعاء عند الله تعالى. ثم قال: (فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض، وهو الله وحده. فهو الذى يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده. فيأذن لمن يشاء أن يشفع فيه. فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذى يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهى إرادته من نفسه أن يرحم عبده. وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهى التي أبطلها الله سبحانه في كتابه، بقوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٌ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٢٨).

(٢) سورة طه، الآية (١٠٩).

(٣) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان(٢٢١/١).

(٤) سورة الزمر، الآيتان (٤٣-٤٤).

شفاعَة)[1]وقوله:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ)[2] وقال تعالى: (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِي وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)[3] وقال تعالى: (اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثم اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَالَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ)[4]. فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه، بل إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه. كما قال تعالى: (مَا مِنْ شَفِيعٍ إلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ)[5]. وقال: (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعَ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِه)[6] فالشفاعة بإذنه ليست شفاعة من دونه، ولا الشافع شفيع من دونه، بل شفيع بإذنه)[7].

وأورد ابن القيم – رحمه الله – حديث أنس في الصحيحين وهو حديث الشفاعة العظمى لنبينا محمد ﷺ (... ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجدًا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع رأسك يا محمد، قل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدًا، فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ...)[8].

(١) سورة البقرة الآية رقم (١٢٣).
(٢) سورة البقرة، الآية رقم (٢٥٤).
(٣) سورة الأنعام، الآية رقم (٥١).
(٤) سورة السجدة، الآية رقم (٤).
(٥) سورة يونس، الآية رقم (٣).
(٦) سورة البقرة، الآية رقم(٢٥٥).
(٧) إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (١/٢٢٠).
(٨) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (١/٣١١).

المطلب الثامن

الجنة والنار

من المسائل التي استدل بها الإمام ابن القيم على إثبات اليوم الآخر، الجنة والنار، فبين فيها وجوب الإيمان بالجنة وأنها دار الجزاء للمتقين، والنار دار الجزاء للكافرين، وبين ما أعده الله من النعيم المقيم لأوليائه، وأعده من العذاب الأليم لأعدائه، والمخالفين لرسله، وقد تطرق ابن القيم لكثير من المسائل التي وقع فيها خلاف بين الفِرَق، وبين آراء المخالفين وناقشها بعدة أوجه، مثل: مسألة هل الجنة والنار مخلوقتان؟ وقد توسع في الرد على المخالفين بالأدلة وأقوال أئمة السلف رحمهم الله.

ولابن القيم كلام جميل في التشويق إلى الجنة، يحفز فيه الهمم للعمل لدار البقاء والخلود، والابتعاد عن الدنيا دار الشقاء والتعب، يقول ــ رحمه الله ــ : (ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم، رفعوا رؤوسهم فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفذ، بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنغص ممزوج بالغصص إن أضحك قليلًا أبكى كثيرًا، وإن سر يومًا أحزن شهورًا، آلامه تزيد على لذّاته وأحزانه أضعاف مسراته، وله مخاوف وآخره متالف، فيا عجبًا من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل آثر الحظ الفاني الخسيس على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السماوات والأرض بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار...)[1].

وقال رحمه الله في قصيدته الميمية:

فيَا خاطبَ الحسْناءِ إنْ كُنْتَ راغِبًا ... فهذا زمانُ المَهْرِ فهو المقدَّمُ

وكنْ مُبْغِضًا للخائناتِ لحبِّها ... فتحظى بِها مِن دونِهنّ وتنعمُ

وكنْ أيّمًا مما سواها فإنها ... لِمثلكَ في جناتِ عدن تأيّمُ

وصمْ يومَكَ الأدْنى لعلكَ في غدٍ ... تفوزُ بِعِيدِ الفِطْرِ والناسُ صُوَّمُ

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٦/١).

وأقْـدِمْ ولا تقْنَـعْ بعَـيْشٍ مُـنَغّصٍ ... فمـا فـازَ باللـذاتِ مَـن لـيس يقـدمُ
وإن ضـاقتِ الـدنيا عليـكَ بأسـرِها ... ولـم يـكُ فيهـا منـزلٌ لـكَ يُعلَـمُ
فحـيِّ علـى جنـاتِ عـدْنٍ فـإنّها ... منازلـكَ الأولـى وفيهـا المخـيِّمُ
وحـيِّ علـى روضـاتِها وخيامِهـا ... وحيِّ علـى عـيشٍ بهـا لـيسَ يُسْـأمُ
وحيِّ على السوق الـذي فيـه يلتقِـي ... المُحِبِّـون ذاكَ السـوق للقـومِ يُعلَـمُ
فما شئتَ خذْ منـه بـلا ثمـنٍ لـه ... فقـد أسـلفَ التجـار فيـه وأسـلمُوا
وحيِّ علـى يـومِ المزيـدِ الـذي بـه ... زيـارةُ ربِّ العـرشِ فـاليوم موسِـمُ

والقصيدة رائعة مشوقة، لا يكاد يقرأها قارئ إلا تحفزت نفسه وشحذت همتـه، فكل بيت فيها لا سيما ما وصف فيه الجنة؛ فإنه يجذب القارئ إلى قراءة ما بعده، فرحم الله ابن القيم وأجزل مثوبته، وجزاه عن المسلمين خيرًا.

الجنة والنار مخلوقتان:

هذه المسألة وقع فيه نزاع بين بعض الطوائف[1]، أما الإمام ابن القيم فقد أثبت في مواضع من كتبه، أن الجنة والنار مخلوقتان، وموجودتـان الآن، قـال رحمـه الله: (والله سبحانه مع كونه خالق كل شيء، فهو موصوف بالرضا والغضب والعطاء والمنع والخفض والرفع والرحمة والانتقام، فاقتضت حكمتـه سـبحانه أن خلـق دارًا لطـالبي رضاه، العاملين بطاعته المؤثرين لأمره القائمين بمحابة وهى الجنة، وجعل فيهـا كـل شيء مرضى وملأها من كل محبوب ومرغوب ومشتهى ولذيذ، وجعل الخير بحـذافيره فيها، وجعلها محل كل طيب من الذوات والصفات والأقوال. وخلق دارًا أخـرى لطـالبي أسباب غضبه وسخطه، المؤثرين لأغراضهم وحظوظهم على مرضاته، العاملين بـأنواع مخالفته، القائمين بما يكره من الأعمال والأقوال، الواصفين له بما لا يليق به، الجاحدين لما أخبرت به رسله من صفات كماله ونعوت جلاله لما أخبرت به رسـله مـن صـفات كماله ونعوت جلاله، وهي جهنم، وأودعها كل شيء مكروه وسجنها مليء من كل شيء مـؤذ ومؤلم، وجعـل الشر بحذافيره فيها، وجعلها محل كل خبيث من الذوات والصفات

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح من ص (١١: ٢١). ناقش فيها ابـن القـيم قـول القدرية المعتزلة ومن وافقهم، ورد عليها بذكر النصوص وأقوال الأئمة. وقـد رد علـى ما سماه رحمه الله شبهات لهم.

والأقوال والأعمال[1].

ولو أراد الباحث أن يستعرض المسائل التي ذكرها الإمام ابن القيم، في مبحث الإيمان باليوم الآخر، لما وسعته صفحات بحث، فقد تناثرت المسائل في كتبه رحمه الله تعالى، فمرة يتناولها بالإثبات فيورد المسألة وأدلتها، وتارة يذكر شبهات المخالفين، وما استدلوا به، فينقض شبههم ويجيب عن أدلتهم، وهو مع ذلك كله يقرر عقيدة أهل السنة في هذا الباب العظيم.

(١) طريق الهجرتين طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص(١٤١).

المبحث الثاني

الإيمان باليوم الآخر عند محققي المالكية

اهتم المحققون من علماء المالكية – رحمهم الله– بهذا الباب اهتمامًا عظيمًا، فلا يكاد يخلو مصنف من مصنفاتهم، إلا وتجدهم يتناولون هذه المسائل، ويستدلون عليها، وربما بعضهم ناقش الخصوم المنكرين لليوم الآخر أو بعض أجزائه.

المطلب الأول

عذاب القبر ونعيمه

أورد المحققون من المالكية كثيرًا من النصوص التي تثبت عذاب القبر ونعميه، وذلك بما يقرره أهل السنة من إثبات عذاب القبر ونعيمه، كما جاء ذلك في الكتاب والسنة، وقد كثرت في ذلك أقوالهم، ومن ذلك قول الإمام ابن أبي زيد رحمه الله: (... وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة..)[1]فهذا الإمام ابن أبي زيد، يثبت فتنة القبر وسؤال القبر، نسأل الله الثبات.

وقال رحمه الله: (... ومن قول أهل السنة، وأئمة الدين في الأرواح أنها باقية، فأرواح أهل السعادة منعمة إلى يوم الدين، وأرواح أهل الشقاء معذبة إلى يوم يبعثون. قال الله تعالى في الشهداء: (بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ)[2]وهذا والذين من خلفهم بعد في الدنيا..)[3]. واستدل – أيضًا– بقول الله تعالى في آل فرعون: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا..)[4]وهذا قبل قيام الساعة (..وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)[5]. ثم ذكر رحمه الله أنه (تظاهرت الأحاديث بنعيم أرواح المؤمنين بعد الموت قبل القيامة، وأنها تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، وأنها تعلق في شجر

---

(١) كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة (٩/١).
(٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٩ – ١٧٠).
(٣) النوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ (٦٥٧/١).
(٤) سورة غافر، الآية (٤٦).
(٥) سورة غافر، الآية (٤٦).

الجنة...)[١].

قال الإمام الصقلي: (... وأن المؤمنين والكافرين يحيون في قبورهم، وأنهم يفتنون ويسألون، ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن أرواح المؤمنين منعمة إلى يوم الدين، وأرواح الكافرين في سجين في العذاب الأليم إلى يوم الدين...)[٢].

المطلب الثاني

الساعة

ولما أثبت علماء المالكية، عذاب القبر ونعميه، أثبتوا ما يكون بعد ذلك من قيام الساعة وما بعدها، ولذا تجد لهم نصوصًا في إثبات الساعة وقربها، يقول الإمام مالك رحمه الله: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت أنا والساعة كأصبعي هاتين، وأشار بأصبعه التي تلي الإبهام والأخرى»[٣]. وقال الإمام مالك – أيضًا– بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «مثلي ومثلكم مثل قوم بعثوا طليعة إلى عدوهم فأراد أن يرجع إليهم فأعجله ما رأى منهم فألاح إليهم أتيتم أتيتم». وقد علق محمد بن رشد على بلاغ مالك بقوله: (هذا مثل ضربه رسول الله ﷺ لقرب الساعة والحض على المبادرة بالأعمال قبل حلول الأجل، وقد قال رسول الله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ولما نزلت: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)[٤]ناداهم اعملوا لما عند الله، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، وقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[٥].

وقبل قيام الساعة هناك علامات وأمارات عليها يقول الإمام مالك:(بلغني أنه تبعث نار من أرض اليمن تسوق الناس سوقًا إلى أرض المحشر...)[٦]. وهذه من علامات الساعة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ. وفي إثبات الساعة – أيضًا– يقول الإمام ابن أبي زيد : (وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت، كما بدأهم

---

(١) النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ (٦٥٧/١).
(٢) الجامع لمسائل المدونة (٤٣/٢٤).
(٣) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (٣٦١/١٧).
(٤) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).
(٥) البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة (١٧/ ٣٦١).
(٦) المصدر السابق.

يعودون)[١].

وبَيَّنَ الإمام ابن عبد البر أن الساعة غيبٌ، فلا يعلم أحد من الخلق متى تكون، إلا ما علمنا من النصوص أنها تقوم يوم الجمعة: (وقيام الساعة من الغيب الذي لم يطلع عليه أحد على حقيقته، ونحن وإن علمنا أنها تقوم يوم جمعة... فلسنا ندري أي جمعة هي؟ وقد سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وقيامها؟ فقال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"، وقال الله عز وجل: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ..)[٢]. وقد أخبر رسول الله ﷺ عن شروط وعلامات تكون قبلها، وقد ظهر أكثرها أو كثير منها[٣]، وقد قال الله ــ عز وجل ــ : (لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً)[٤].

المطلب الثالث

البعث

إذا قامت الساعة، تلاها بعث الله الخلق للحساب، وهو يوم عظيم شديد، قال مالك: بلغني أنه إذا كان قبل الساعة أمطرت السماء أربعين ليلة حتى تنفلق الأرض عن الهام كما تنفلق عن الكمأة، قال والهام: رؤوس الناس[٥].

والأئمة المالكية، يهابون الحديث عن البعث، فتجد بعضهم يغشى عليه حين يسمع ما ثبت من القبر والساعة والبعث، ومن ذلك ما ذكر أبو العباس محمد بن إسحاق السراج في تاريخه قال: حدثنا خالد ابن أبي خداش، قال: قرأ على عبد الله بن وهب ما كتبه في أهوال يوم القيامة فخر مغشيًا عليه، فلم يتكلم بكلمة حتى مات، وذلك بمصر سنة سبع وتسعين ومائة[٦]. وقال الإمام أبو بكر الصقلي: (.. وأن ملك الموت يقبض الأرواح كلها بإذن الله ــ عز وجل ــ كما قال تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ)[٧]. وأن الخلق ميتون بآجالهم، وأنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات

(١) كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة (٧/١).
(٢) سورة الأعراف، الآية (١٨٧).
(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ٤٠).
(٤) سورة الأعراف، الآية (١٨٧).
(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٣/ ٤٢).
(٦) المصدر السابق.
(٧) سورة السجدة، الآية (١١).

ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، كما بدأهم يعودون حفاة عراة غرلا[١]. وقال الصقلي أيضًا: (.. وأن الأجساد التي أطاعت أو عصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى، والجلود التي كانت في الدنيا والألسنة والأيدي والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من يشهد عليه منهم. وأنه سبحانه يعيد العباد، ويحي الأموات)[٢].

المطلب الرابع

الشفاعة

لم يخالف علماء المالكية في مسألة الشفاعة، وقد اعتقدوا فيها ما اعتقده السلف، من إثباتها بشروطها، وأنواعها كما جاء بذلك الدليل، قال الإمام ابن أبي زيد: (.. ويخرج منها بشفاعة النبي ﷺ من شفع له من أهل الكبائر من أمته...)[٣]. وقال: (.. وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين، ويخرج من النار بشفاعة رسول الله ﷺ قوم من أمته بعد أن صاروا حممًا، فيطرحون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل)[٤]. وقال الإمام الصقلي: (..وأنه يشفع نبيه محمد ﷺ وأهل بيته وأصحابه ومن يشاء من صالح عباده في عصاة أهل ملته ويخرج بشفاعة رسوله ﷺ قوما من النار بعد أن صاروا جمعًا وامتحشوا فيها...)[٥].

(١) الجامع لمسائل المدونة (٤٣/٢٤).

(٢) الجامع لمسائل المدونة (٤٣/٢٤).

(٣) كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة (٨/١).

(٤) كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة (٧/١).

(٥) الجامع لمسائل المدونة (٤٣/٢٤).

المطلب الخامس

الحساب

أثبت علماء المالكية أمر الحساب، وبينوا ما ثبت فيه من أدلة، وضللوا وبدعوا من خالف فيه، قال الإمام ابن أبي زيد: (.. مما اجتمعت الأئمة عليه من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة، أنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا... لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب من يشاء، ثم قال في آخره: وكل هذا قول مالك، فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه. وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها..)(١).

المطلب السادس

الميزان

في مسألة الميزان بين علماء المالكية أن الميزان ميزان حقيقي حسي له كفتان، يوضع لوزن أعمال العباد يوم القيامة، قال الإمام ابن أبي زيد: (وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ويؤتون صحائفهم بأعمالهم، فمن أوتي كتابه بيمينه؛ فسوف يحاسب حسابًا يسيرا، ومن أوتي كتابه وراء ظهره؛ فأولئك يصلون سعيرًا)(٢). والإيمان بالميزان واجب؛ لأنه ثبت بالدليل من الكتاب والسنة، يقول الإمام ابن أبي زمنين: (وأهل السنة يؤمنون بالميزان يوم القيامة، وقال عز وجل: (فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ)(٣). وقال سبحانه: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)(٤).

---

(١) كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة (١/ ٨).

(٢) كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة (١/ ٨).

(٣) سورة القارعة، الآيات (٦: ٩).

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٤٧).

المطلب السابع

الصراط

أثبت علماء المالكية الصراط، وبينوا ما صح من أوصافه، التي ذكرت في الأحاديث الصحيحة، قال الإمام ابن أبي زيد: (... وأن الصراط حق يجوزه العباد بقدر أعمالهم فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم...)[١].

قال القاضي عبد الوهاب البغدادي شارحًا كلام ابن أبي زيد: والذي يذهب إليه أهل السنة وأئمة الحديث: أن الصراط ثابت صحيح، وهو غير ما يذكرونه من الدين المراد بقوله "اهدنا الصراط المستقيم" وأن هذا الصراط هو الذي وردت به الأخبار، وصحت به الروايات، وأن العباد يجوزون عليه، ويتفاوت حالهم في ذلك، على حسب أعمالهم، والأخبار بذلك ثابتة صحيحة مقطوع بها في الجملة، وإن كان تفصيلها من طريق الآحاد...)[٢] ثم ساق رحمه الله الأدلة على ذلك[٣]. وقال الإمام أبو بكر الصقلي: (... وذكر الصراط في غير موضع من كتابه، وورد بثبوته صحيح الروايات، وما يلحق الناس عليه من الأهوال، (وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ)[٤]. فيجوزه العباد بقدر أعمالهم مناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم فيطرحون في غير الحياة فينبتون كما تنبت الحبة..)[٥].

---

(١) كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة (٧/١).

(٢) ناقش القاضي عبد الوهاب هذه المسألة فقال: (فإن قالوا: كل هذه الأخبار آحاد لا يقع العلم بها. قلنا تفصيلها وإن كانت قد جاءت من طريق الاحاد، فالحجة بها قائمة؛ لأنها معلومة في الأصل، وليس كذلك بأكثر من أخبار الزكوات التي قد علمنا بها في الجملة، وعرفنا تفصيلها من طريق الآحاد، وكذلك علمنا بأن الصحابة رجعت إلى خبر الواحد وعملت به ... وإن كان أعيان الأخبار التي رجعوا إليها منقولة من طريق الآحاد) شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (٢٧١/١).

(٣) شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني للقاضي عبد الوهاب البغدادي (١/ ٢٦٨).

(٤) سورة الزمر، الآية (٦١).

(٥) الجامع لمسائل المدونة (٤٣/٢٤).

وقال الإمام الصقلي: (.. وأنه يجيء يوم القيامة لفصل القضاء، ويجيء بالملائكة صفًا صفًا. ويمد الصراط، وتوزن صحائف الأعمال، كما قال عز وجل: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا)[1]. وقال سبحانه: (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2]. وأنهم أهل يمين وشمال، يؤتون كتبهم بأيديهم، فمن أوتي كتابه بيمينه؛ فأولئك هم المفلحون، ومن أوتي كتابه وراء ظهره؛ فأولئك هم الخاسرون)[3].

المطلب الثامن

الحوض

أثبت علماء المالكية الحوض، وذكروا أن أحاديثه بلغت حد التواتر، ومن تلك الأحاديث ما رواه الإمام مالك عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وددت إني رأيت إخواننا قالوا: يا رسول الله ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواننا الذين يأتون بعدي، وأنا فرطهم على الحوض... فإنهم يأتون يوم القيامة غرًا محجلين من آثار الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، وأناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا، فأقول: سحقًا سحقًا)[4]. قال الإمام ابن أبي زيد: (والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدل وغير)[5].

قال القاضي عبد الوهاب: الأصل في ذلك ورود الأخبار المتواترة ذكر الخياط أنه روى إثبات الحوض خلق كبير من الصحابة منهم: ابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو الدرداء، وأبو ذر، وأبو أمامة، وأبو بردة، وأبو بكرة، وابن عمر، وجابر ابن عبدالله، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت،... ومن النساء: عائشة، وأسماء، وأم سلمة. ورواه حذيفة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين عن النبي ﷺ)[6]وقد سرد القاضي رحمه الله عددًا من هذه الأحاديث الي تثبت الحوض.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٤٧).

(٢) سورة المؤمنون، الآية (١٠٢).

(٣) الجامع لمسائل المدونة (٤٣/٢٤).

(٤) رواه مالك في الموطأ (٨٢).

(٥) كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة (٨/١).

(٦) شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (١/ ٢٧٣).

قال الإمام الصقلي: (... وأن ورود حوض النبي ﷺ لحق، لا يظمأ من شرب منه من المؤمنين، ويمنع منه من انحرف عن الدين وخالف الطريق المستقيم)[١].

وقد بين علماء المالكية أن هناك من يُذاد عن حوض النبي ﷺ من المبتدعة، والظلمة، وقد بين ابن عبد البر هذه المسألة بقوله: (وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به؛ فهو من المطرودين عن الحوض والمبعدين والله أعلم. وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم، مثل الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، والبدع وجميع أهل الزيغ فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وتطميس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، كلهم مبدل، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع، كل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر)[٢].

المطلب التاسع

الجنة والنار

عرف الإمام الشنقيطي الجنة بأنها: دار الكرامة المشتملة على أصناف النعيم والبهجة والسرور، أعدها الله للمتقين يوم القيامة[٣]. وعرف الإمام ابن عطية النار: بأنها دار الهوان والذل التي أعدها الله للكفار، وقد يدخلها سواهم من العصاة[٤]. وقد خلق الله – سبحانه– الجنة والنار للبقاء لا للفناء، وجعل الجنة دار النعيم، والنار دار العذاب. وقد بين علماء المالكية أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان خلافًا لمن أنكر ذلك، ومن ذلك رواية الإمام مالك رحمه الله لحديث: (... إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط أفظع)[٥]. وقد علق الإمام ابن عبد البر على هذا الحديث بقوله: (والظاهر في هذا

(١) الجامع لمسائل المدونة (٤٣/٢٤).
(٢) الاستذكار (٢٤٥/١).
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٦/٧).
(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٠٧/١).
(٥) رواه مالك في الموطأ (١٨٦/٢).

الحديث، أنه رأى الجنة والنار رؤية عين والله أعلم، وتناول من الجنة عنقودًا على ما ذكر ﷺ ويؤيد ذلك قوله: فلم أر كاليوم منظرًا قط، فالظاهر الغالب أنها رؤية عين؛ لأن الرؤية والنظر إذا أطلقا فحقهما أن يضافا إلى رؤية العين إلا بدليل لا يحتمل تأويلاً وإلا فظاهر الكلام وحقيقته أولى، إذا لم يمنع منه مانع دليل يجب التسليم له، وفي الحديث – أيضًا– من ذكر الجنة والنار دليل علة أنهما مخلوقتان، وعلى ذلك جماعة أهل العلم)[١].

وعلق على حديث آخر[٢] بقوله: (وفي الحديث– أيضًا– دليل صريح على أن الجنة والنار مخلوقتان على مذهب أهل السنة والجماعة الذين هم الحجة، أهل الرأي والآثار)[٣]. قال ابن أبي زيد: (وأن الله قد خلق الجنة فأعدها دار خلود لأوليائه، وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وخلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله وجعلهم محجوبين عن رؤيته)[٤]. قال الإمام ابن أبي زمنين: ومن قول أهل السنة أن الجنة والنار قد خلقتا[٥]. وقد تحدث علماء المالكية رحمهم الله عن وصف الجنة، فذكروا نصوصًا كثيرة منها ما رواه الإمام مالك رحمه الله قال: حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن النبي – عَلَيْهِ السَّلَامُ – قال: «الجنة مائة درجة، أعلاها وأوسطها الفردوس، منها تتفجر أنهار الجنة، وعليها العرش، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس». وروى مالك عن ابن شهاب، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري أنه أخبره أن كعب بن مالك كان يحث أن رسول الله ﷺ قال: (إنما نسمة المؤمن طائر يرعى من شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جنته يوم يبعثه)[٦].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣/٣٢٠).

(٢) حديث: (إن أحكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة).أخرجه البخاري في كتاب الجنائز(رقم ١٣٧٩)٢/١٠٠) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها... رقم٢٨٦٦(٤/٢١٩٩).

(٣) الاستذكار (٣/ ٨٦).

(٤) كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة، ص(٧).

(٥) أصول السنة (١٣٤).

(٦) رواه مالك في الموطأ (٨١٨)، والبخاري (١٣٧٩)، ومسلم(٢٨٦٦).

المطلب العاشر

رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة

من المسائل التي فيها الأحاديث: مسألة رؤيـة المـؤمنين لـربهم – سـبحانه وتعالى– في الآخرة، فلا تكاد تجد مؤلفًا في العقيدة إلا وتجد المسألة ضمن أبوابه لمـا علم عند أهل السنة أنها ثابتة بالكتاب والسنة، فلا يماري فيها إلا جاهل، أو منكر مكابر.

وقد وافق علماء المالكية، السلف في إثبات الرؤية لله تعالى في الدار الآخـرة، ولهم في ذلك آثار كثيرة نقلت عنهم، منها: قول القاضي: وأنه تعـالى يتجلـى لعبـاده المؤمنين في المعاد، فيرونه بالأبصار على ما نطق به القرآن في قوله عز وجل: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)[1]، وأكد ذلك بقوله فـي الكـافرين: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)[2] تخصيصًا منه – تعالى– برؤية المؤمنين، والتفرقة بيـنهم وبـين الكافرين، وعلى ما وردت به السنن الصحيحة في ذلك عن رسول الله ﷺ فمن ذلك:

حديث أبي هريرة: أن الناس قالوا يا رسول الله: هل نرى ربنا يـوم القيامـة؟ فقال عليه السلام: "هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ " قالوا: لا يا رسول الله. قال: "هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ "، قالوا: لا يا رسول الله. قال: " فإنكم ترونـه كذلك"[3].

المخالفون في باب الإيمان باليوم الآخر:

المخالفون في باب الإيمان باليوم الآخر، إما أن يكونوا منتسبين للإسلام، وإمـا أن يكونوا غير منتسبين للإسلام، وتوضيح ذلك:

الطائفة الأولى: **غير المنتسبين للإسلام**:

وهم طوائف كثيرة، منهم المنكرون لليوم الآخر والبعث والنشـور، كالـدهريين الملاحدة، وبعض الفلاسفة، وبعض الفرق اليهودية[4].

---

(١) سورة القيامة الآيتان (٢٢-٢٣).

(٢) سورة المطففين الآية (١٥).

(٣) الجامع لمسائل المدونة (٤٣/٢٤).

(٤) انظر: الصفدية (٢/ ٢٦٧-٢٦٨)، الرد على المنطقيـين، ص(٤٥٨)، المسـتدرك علـى مجموع الفتاوى (٩١/١-٩٤). وقد لخص فيه شيخ الإسلام أحوال القائلين في المعاد.

يقول الإمام الغزالي: (ينكر الفلاسفة الدهريون المعاد واليوم الآخر إنكارًا تامًا، وذلك على إثر قولهم بإنكار الصانع، وأصناف الفلاسفة الدهريون: وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان ... وكذلك يكون أبدًا، وهؤلاء هم الزنادقة)[١]. ومنهم من آمن بالبعث، ولكنه خصه بقيام الأرواح دون الأجساد. ومنهم القائلون بتناسخ الأرواح[٢]، كالبوذية[٣] والهندوسية[٤].

ومن وافقهم من فرق الباطنية كالإسماعيلية[٥] والدروز [٦] والنصيرية [٧]، وهو

---

(١) المنقذ من الضلال، ص(١٣٠).

(٢) تناسخ الأرواح: إذا مات الإنسان يفنى منه الجسد وتنطلق منه الروح لتتقمص وتحل في جسد آخر بحسب ما قدم من عمل في حياته الأولى، وتبدأ الروح في ذلك دورة جديدة. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٨٢٨/١).

(٣) البوذية: وهي الديانة التي ظهرت في الهند بعد البراهمية (الهندوسية) في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي تدعو إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالتسامح، ويعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الإله عندهم وأنه مخلص البشرية من مآسيها. انظر: الموسوعة الميسرة (٧١٢/٢).

(٤) الهندوسية: ويطلق عليها أيضاً البرهمية ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر. إنها ديانة تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادىء القانونية والتنظيمية متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها، فلكل منطقة إله، ولكل عمل أو ظاهرة إله. انظر: الموسوعة الميسرة (٧٢٤/٢).

(٥) الإسماعيلية: فرقة باطنية تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، كذبا وزوراً، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، وقد تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان إلى وقتنا الحاضر، وعقائدها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة؛ فقد جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطنا، ولكل تنزيل تأويلا، ويخلطون كلامهم ببعض كلام الفلاسفة. وقد مالت إلى الغلوِّ الشديد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفرون أعضاءَهَا انظر: الموسوعة الميسرة (٣٨٣/١)، أصول الإسماعيلية (٣٢٣/١).

(٦) الدروز: فرقة باطنية، تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشتكين الدرزي. نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام. عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين. انظر: الموسوعة الميسرة (٣٩٧/١)، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص(١٩٩).

(٧) النصيرية: حركة باطنية، ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجودا إلهيًّا في علي وألهوه به، مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، وهم مع كل غازٍ لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضية والباطنية . انظر: الموسوعة الميسرة (٣٩٠/١)، الحركات الباطنية ٣١٩).

كذلك قول ابن سينا)[١]. وهؤلاء جعلوا العقل حكمًا على الشرع، فما وافق العقل قبلوه، وما خالفه ردوه. يقول شيخ الإسلام: (وهؤلاء القائلون بمعاد الأرواح فقط، منهم من يقول بأن الأرواح تتناسخ[٢]إما في أبدان الآدميين، أو أبدان الحيوان مطلقًا، أو في موضع الأجسام النامية، ومنهم من يقول بالتناسخ للأنفس الشقية فقط ...)[٣].

وهذا القول هو قول الفرق الباطنية، من إسماعيلية ونصيرية ودروز، القائلين بتناسخ الأرواح، وقولهم يقتضي إنكار المعاد، فالأرواح لا تنتهي وإنما تنتقل من جسد إلى جسد، سواء كان الجسد إنسانًا أو حيوانًا، أو غير ذلك. وقد ورث الباطنية هذا القول من الهندوسية والبوذية وغيرهم.

وقد حكم شيخ الإسلام على قول الفلاسفة، ومن يقول بتناسخ الأرواح، ومن وافقهم بالشذوذ، ثم حكم بكفرهم يقول رحمه الله: (وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث؛ قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح؛ وأن البدن لا ينعم ولا يعذب. وهذا تقوله "الفلاسفة" المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين)[٤].

---

(١) انظر: الفتوى المالكية في أفعال الصوفية، ص (٢٧٨).

(٢) يقول الاسفراييني عن القائلين بالتناسخ: (وهم قوم من الفلاسفة قبل الْإِسْلَام، وكَانَ سقراط من جُمْلَتهمْ وكَانَ فِي دولة الْإِسْلَام من أهل التناسخ فريقان: فريق من جملَة الْقَدَرِيَّة، وفريق من غلاة الروافض، وماني الثنوي قَالَ بالتناسخ فِي بعض كتبه، وَذكر أَن أَرْوَاح الصديقين إِذا خرجت من أبدانهم اتَّصَلت بعمود الصُّبْح إِلَى ان تبلغ النُّور الَّذِي فَوق الْفلك، وَيَكُونُونَ فِي السرُور دَائما وأرواح أهل الضَّلَالَة تتناسخ فِي أجسام الْحَيَوَان؛ فَلَا تزَال تنْتَقل من حَيَوَان إِلَى حَيَوَان إِلَى أَن يصفو من ظلمته فَحِينَئِذٍ يتَوَصَّل بِالنورِ الَّذِي فَوق الْفلك. وَقوم من الْيَهُود أَيْضا يَقُولُونَ بتناسخ الْأَرْوَاح وَيَقُولُونَ: إَنهم وجدوا فِي كتاب دانيال أَن الله تَعَالَى مسخ بخت نصر فِي سبع صور من صور الدَّوَابّ وَالسِّبَاع). انظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص(١٣٦). وانظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ص(٢٥٣).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١١/٦).

(٤) المصدر السابق (١١/٦).

الطائفة الثانية: المنتسبون إلى الإسلام:

وهم طوائف، فمنهم من أثبت الإيمان باليوم الآخر وبالغ في إثبات الشفاعة، كحال بعض طوائف الصوفية. وهناك طوائف أنكرت عذاب القبر، والشفاعة، والصراط، ورؤية الله في الدار الآخرة، والقول بفناء النار، وهم طوائف من الجهمية والخوارج والمعتزلة، مع تباين في أقوالهم، واختلاف في آرائهم.

يقول شيخ الإسلام: (وأما أهل الأهواء: فكان كثير من الجهمية والمعتزلة ونحوهم، يكذب بما في البرزخ من النعيم والعذاب، ولا يقر بما يكون في القبر، كما ينكرون أيضًا وجود الجنة والنار، ولا يعتقدون نعيمًا ولا عذابًا ولا ثوابًا ولا عقابًا إلا عند القيامة الكبرى)[1]. وقد حكم العلماء بكفر منكري البعث، قال الإمام ابن عبدالبر: (وقد أجمع المسلمون على كفر من أنكر البعث بعد الموت)[2].

١ المستدرك على مجموع الفتاوى (٢/٩٣).

٢ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٩/١١٦).

خاتمة

في ختام هذا البحث يتضح أن شيخ الإسلام يُعرف "اليوم الآخر" بأنه: هو الإيمان بكل ما أخبر به رسول الله ﷺ مما يكون بعد الموت. كما يُضيف أن مذهب أهل السنة والجماعة في اليوم الآخر: ما دل عليه الكتاب والسنة، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها الإيمان بالقيامة العامة التي يقوم فيها الناس من قبورهم لرب العالمين.

أهم نتائج البحث:

يُعَدُّ الإمام ابن القيم من أبرز العلماء الذين تحدثوا عن اليوم الآخر، وتُعد كتبه ومؤلفاته مرجعًا مهمًا في هذا الباب.

يُعِد الإمام ابن القيم (الموت) قيامة صغرى، وما بعده إلى دخول الناس الجنة أو النار قيامة كبرى.

يذكر الإمام ابن القيم أن الأدلة على عذاب القبر ونعيمه كثيرة، وسرد – رحمه الله– الكثير منها، ومن ذلك: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) (غافر، ٤٦). فَهَذَا فِي البرزخ، (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)(غافر، ٤٦). وأن هذا في القيامة الكبرى.

استدل الإمام ابن القيم على البعث بأدلة النفخ في الصور، وذكر عدد النفخات، ويرجح – رحمه الله– بأنها ثلاثة: نفخة الفزع، ونفخة الموت، ونفخة البعث.

نَبَّهَ الإمام ابن القيم أن حال الناس في الآخرة يكون تبعًا لحالهم في الدنيا. وأن مشيهم على الصراط في السرعة والبطء بحسب سرعة سيرهم وبطئه على صراط الله المستقيم في الدنيا.

أثبت الإمام ابن القيم في مواضع كثيرة من كتبه أن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن.

اهتم المحققون من علماء المالكية بمسائل الإيمان باليوم الآخر اهتمامًا عظيمًا، فهم يتناولون هذه المسائل، ويستدلون عليها، ويناقشون الخصوم المنكرين لليوم الآخر أو بعض أحداثه.

أثبت علماء المالكية عذاب القبر ونعيمه كما أثبتوا ما يكون بعد ذلك من قيام الساعة وما بعدها.

الأئمة المالكية يهابون الحديث عن البعث، حتى أن بعضهم يُغشى عليه حين

يسمع ما ثبت من حياة البرزخ، والساعة، والبعث، .. إلخ.

لم يخالف علماء المالكية في مسألة الشفاعة، واعتقدوا فيها ما اعتقده السلف من إثباتها بشروطها وأنواعها. كما أثبتوا أمر الحساب، وبينوا ما ثبت فيه من أدلة. بَيَّنَ محققوا المالكية أن (الميزان) ميزان حقيقي حِسي له كفتان، ويوضع لوزن أعمال العباد يوم القيامة.

أثبت محققوا المالكية (الحوض) وذكروا أن أحاديثه بلغت حد التواتر.

وافق علماء المالكية السلف في إثبات الرؤية لله تعالى في الدار الآخرة، ولهم في ذلك آثار كثيرة نقلت عنهم.

المصادر والمراجع

١. اجتماع الجيوش الإسلامية، للإمام ابن القيم، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم للنشر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

٢. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ه - ٢٠٠٠م.

٣. أصول السنة، للإمام ابن أبي زمنين، تحقيق وتخريج وتعليق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام ابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي سليمان بن عبد الله العمير، تخريج أحاديثه: عمر بن سعدي، محمد نديم خليل، دار عطاءات العلم، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

٦. إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، للإمام ابن القيم، تحقيق: محمد عزير شمس، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

٧. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، للإمام ابن رشد، تحقيق: محمد حجي، وأخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٨. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩. تحفة المودود بأحكام المولود، للإمام ابن القيم، تحقيق: عثمان بن جمعة ضميرية، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

١٠. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، عام ١٣٨٧هـ.

١١. الجامع لمسائل المدونة، أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي، تحقيق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، وآخرين، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٣. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام ابن القيم، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

١٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة والعشرون، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٥. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، للإمام ابن القيم، تحقيق: زاهر بن سالم بلفقيه، دار عطاءات العلم، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.

١٦. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: حسين بن عكاشة بن رمضان، دار ابن الجوزي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م.

١٧. طريق الهجرتين وباب السعادتين، للإمام ابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، خرج أحاديثه: راشد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

١٨. الفتوى المالكية في أفعال الصوفية، أبو فارس عبدالعزيز بن محمد القيرواني، جمع وتحقيق: علي الكندي المرر، مؤسسة بينونة، أبو ظبي، ١٤٣٠ه- ٢٠٠٩م.

١٩. الفرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي الإسفراييني، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٢٠. الفوائد، للإمام ابن القيم، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار ابن الجوزي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

٢١. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، للإمام ابن القيم، راجعه: محمد عزير شمس، ومحمد سعود العريفي، دار عطاءات العلم، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

٢٢. كتاب الرسالة في المدخل إلى علم من واجب أمور الديانة، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ، تحقيق ودراسة: ليامين بن قدور امكراز الجزائري، دار المحسن، الجزائر، الطبعة الأولى، ١٤٤٤ه-٢٠٢٢م.

٢٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المعروف بابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٤. مدارج السالكين في منازل السائرين، للإمام ابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، وآخرين، تخريج أحاديثه: سراج منير محمد، دار ابن الجوزي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ - ٢٠١٩م.

٢٥. المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بقلم: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر، بدون تاريخ.

٢٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

٢٧. النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، للإمام ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق: عبد الفتّاح محمد الحلو، وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٢٨. الوابل الصيب من الكلم الطيب، للإمام ابن القيم، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢٦٣
المبحث الأول: الإيمان باليوم الآخر عند ابن القيم ، ويشتمل على ثمانية مطالب :	٢٦٧
المطلب الأول – القيامة الصغرى	٢٦٨
المطلب الثاني - القيامة الكبرى	٢٦٩
المطلب الثالث- عذاب القبر ونعيمه	٢٧١
المطلب الرابع- البعث	٢٧٤
المطلب الخامس- الصراط	٢٧٩
المطلب السادس- الحوض	٢٨١
المطلب السابع- الشفاعة	٢٨٣
المطلب الثامن- الجنة والنار.	٢٨٦
المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر عند محققي المالكية ، ويشتمل على عشرة مطالب:	
المطلب الأول- عذاب القبر ونعيمه	٢٨٦
المطلب الثاني- الساعة	٢٨٧
المطلب الثالث- البعث	٢٨٨
المطلب الرابع- الشفاعة	٢٨٩
المطلب الخامس- الحساب	٢٩٠
المطلب السادس- الميزان	٢٩٠
المطلب السابع- الصراط	٢٩١
المطلب الثامن- الحوض	٢٩٢
المطلب التاسع- الجنة والنار	٢٩٣

الموضوع	الصفحة
المطلب العاشر- رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة.	٢٩٥
الخاتمة	٢٩٩
المصادر والمراجع	٣٠١
فهرس الموضوعات	٣٠٤